الأستاذة :سعودي يمينة

كلية :الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

مادة :النقد القديم

الفئة المستهدفة :السنة الأولى ليسانس ،المجموعة الأولى .

المحاضرة :الثالثة :**قضية الخصومة بين القدماء والمحدثين .**

**تمهيد** :

الخصومة بين القديم والحديث ليست مختصة بمرحلة دون أخرى، ولا زمن دون زمـــــــــــــــــــــــن ،فالخصومة بينهما سنة من سنن الحياة ،فما خلا عصر من العصور من صراع مستمر بين هذيـــــــن المفهومين ،ولأن حديثنا ينصب في الأدب فإنه سيكون عن بدء الخصومة بين القديم والجديد في الأدب العربي ،وخاصة الشعر لكونه الفن الأول لدى العرب ،فهو ديوانها وسجل مآثرها وأيامها .

 **مامعنى القديم وما تاريخ بدايته و نهايته؟**

 حدد العلماء بداية القديم بنضوج الشعر قبل الإسلام بقرن ونصف تقريبا ونهايته بمنتصف القـــــــرن الثاني للهجرة وإلى ذلك يشير الجرجاني في "الوساطة "حين يتحدث عن المتعصب للقديم فيقــــول :"ولا يرى الشعر إلاّالقديم الجاهلي وما سلك به ذلك المنهج وأجرى على تلك الطريقة ،ويزعم أن ساقـــــــــــة الشعراء رؤبة ،وابن هرمة ،وابن ميادة ،والحكم الخضري ،فإذا انتهى إلى من بعدهم ،كبشار وأبي نواس ،وطبقتهم سمى شعرهم ملحا وطرفا "،،ومنه نستنتج أن القديم ينتهي عند إبراهيم بن هرمة الذي يعــــــده أنصار القديم آخر سلسلة القدماء وهذا يعني أن القديم يشمل الأدب الجاهلي والأدب الإسلامي ،في حـــين أننا نجد من متعصبي القديم من يحصره في الشعر الجاهلي فقط ويجعله مصدرا للاحتجاج به على لغــــة العرب ،ويروي لنا ابن رشيق في "العمدة " عن الأصمعي أنه قال عن أبي عمرو بن العلاء "جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي ".

 **مامعنى الحديث وما تاريخ بدايته ونهايته ؟**

 وأما مفهوم الجديد، فبتحديد نهاية القديم يبدأ الجديد ،وكان بشار بن برد المتوفي عام 167ه إعلانـــــا ببدء الشعر المحدث يقول طه إبراهيم :"أما عصر المحدثين فبدؤه قبيل قيام الدولة العباسية بدؤه فــــــــي الواقع من عهد بشار ،ومروان بن أبي حفصة ،ومطيع بن إياس وغيرهم من مخضرمي الدولتين ،ويشمل كل من جاء بعدهم من الشعراء الذين كتبوا باللسان العربي إلى اليوم . ومنه نستنتج أن الشعر المحدث لم ينته عصره ،والواقع يقول :أن مفهوم القديم والجديد أمر نسبــــي لا يمكن تحديده بسهولة ،ففي أيامنا هذه نرى شعر شوقي وحافظ إبراهيم وغيرهما شعرا قديما والشعر الحر وقصيدة النثر شيئا جديدا ،وقد وضح ذلك ابن رشيق مؤكدا على نسبية القديم والجديد فقال :"كل قديم من الشعراء محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله "كما استشهد على ذلك بقول عنترة:

بأن هذا دليل على أن عنترة يعد نفسه محدثا ،قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ،ولم يغادروا له منه شيئا.

**أنصار الشعر القديم** :

وجد شعراء ونقاد من أصحاب الذوق الأدبي الرفيع يقفون وراء القديم ويشدّون من أزره وقد كان لهـــذا التعصب أسباب كثيرة منها:

**1-اتصال الشعر القديم بالدين** :ولأن أكثر المتعصبين للقديم هم الرواة واللغويون فإن حاجتهم للشاهد في تفسير لفظة في آية أو حديث يدعم أقوالهم ويؤكدها لم تكن متوفرة إلاّفي الشعر القديم ،أما شعر المولدين فلا يثقون فيه ثقة كاملة ،وقد مر بنا أن أبا عمرو بن العلاء لم يحتج ببيت إسلامي عشر سنين .

**2-اتصاله بالمهنة:**كان أكثر أنصار القديم رواة ولغويون والشعر القديم مهنتهم وعملهم الذي يمارسونــه ويتكسبون منه لذا نجدهم يدينون شعر المحدثين ويرون أنه ليسعفهم في إنجاز أعمالهم .

**3- الوقوف ضد تيار الشعوبية :**معروف أن الشعراء المحدثين كانوا هجينا وليسوا عربا أقحاحا،وقــــد هاجموا الشعر القديم وعابوه ،فوقف أنصار القديم ضدهم وأعجبوا بالشعراء القدماء دون غيرهــــم لأن هؤلاء كانوا عربا أقحاحا لم يقولوا الشعر إلابسليقة عربية أصيلة في حين أن عددا كبيرا من المحدثيــن كانوا من أصل غير عربي .

**4-تمرس أنصار الشعر القديم به وتعودهم عليه :**الشعر القديم أصبح مادة حرفة هؤلاء الأنصـــــــــار وصناعتهم التي تمرنوا عليها وتمرسوا بها ،لأن ذائقتهم الأدبية النقدية تربت على هذا النوع من الشعـر مدة طويلة وبالتالي صعب عليهم أن يتذوقوا شيئا جديدا ،فهؤلاء الأنصار وجدوا أن أشعار الأوائل قـــد ذُللت لهم وكثرت لها روايتهم .

**5-ارتباط الشعر بالخلفاء والوزراء :**عمل الخلفاء والوزراء على تقريب الرواة و اللغويين وتقديمهم على غيرهم ،فهم إما كتاب لديهم أو مؤدبون لأولادهم ،وفي الحالتين يعتمد هؤلاء (الرواة واللغويون)عــــــلى الشعر القديم .

**6-خروج المحدثين على عمود الشعر** :رأى أنصار القديم أن الشعر المحدث قد خالف ما تعارف عليـــه العرب قديما والذي سمي فيما بعد بعمود الشعر الذي حافظ عليه القدماء في حين خرج عنه المحدثـــون .

**7-اتخاذ أنصار القديم الزمن مقياسا لجودة الشعر** :كان احتكام النقاد المتعصبين للقديم في تقويم الشعــر إلى الزمن قبل أن يكون إلى الفن وأصوله أو إلى الشعر ومقاييسه ،فقد كانوا يعجبون بالشعر عند سماعه أول مرة ،فإن علموا أنه محدث ردوه وعابوه يقول ابن قتيبة :"إني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعـــر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ،ويزدري الشعر الرصين ولا عيب فيه له عنده إلاّأنه قيل فـــــي زمانه ".ويروي لنا ابن رشيق عن أبي عمرو بن العلاء قوله:"لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمــر صبياننا بروايته "ويعني بذلك شعر جرير والفرزدق ،كما يذكر ابن رشيق أنه كان لا يعد الشـــــــعر إلا ماكان للمتقدمين .

**أسباب ظهور الشعر المحدث** :

أدرك الشعراء في منتصف القرن الثاني للهجرة حاجتهم إلى التغيير والتجديد ورفضوا أن يكونوا صورة منسوخة عن القدماء وسعوا إلى إبراز ذواتهم ،فثارواعلى القديم ونزعوا للتجديد مُتَحَديِن أنصار القديــــم بكل قوة ،ويمكن أن نرجع أسباب ظهور الشعر المحدث إلى ما يلي :

**رغبة الشعراء في أن يعبر الشعر عن نفسياتهم وبيئاتهم:**كانت صيحة أبي نواس نواة أولى وثـــــــــورة كبرى على القديم المقدس فهزأ من القصيدة العربية وطريقتها وسخر من وصف الأطلال والوقوف عليها ونادى بالحديث عن الواقع الذي يعيشه الشاعر فقال :

صفة الطـــــلول بلاغة الفــــــدم \*\*\*\*\*\*فاجـــــعل صفـــاتك لابنة الكـــــرم

تصف الطلول على السماع بهــا \*\*\*\*\*\*أفــذوا العيان كأنت من الفــــــــــهم؟

وإذا وصــــفت الشيء متبعـــــا\*\*\*\*\*\*\*لم تخــــل من زلـــل ومن وهـــــــم

**2- اتساع الدولة الإسلامية :** فرض هذا الاتساع تغييرا سياسيا واجتماعيا وفكريا على المنضوين تحت لوائها ،ومنهم الشعراء فبرز تغير في طرائق التفكير وأساليب الكتابة وأغراض الشعر وقد أشــــــــــــار الجرجاني إلى ذلك فقال :"فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب ،وكثــــــــــــــــــــــــــرت الحواضر،ونزعت البوادي إلى القرى ،وفشا التأدب و التظرف ،اختار الناس من الكلام ألينه و أسهله ".

**3-اختلاف الجنس والعرق :**إن الشعراء الذين نادوا بالتجديد ليسوا عربا أقحاحا لذلك بدوا غير حريصين على تقاليد القصيدة العربية القديمة ،كما أنهم رفضوا أن يكونوا نسخة من السابقين فاندفعوا بحثا عـــــــن التجديد من حيث الصياغة والصورة،وحتى من حيث أعاريض الشعر وأوزانه ،فنجد بشارا قد وضــــــع أوزانا جديدة نظم فيها تظرفا ،كما استعمل أبو العتاهية أوزانا غير التي نظم عليها القدماء.

**4-شعور المحدثين بأن المعاني قد نضبت :**لم يتخلص المحدثون من هذا الشعور الذي تأصل فـــــــــــي نفوسهم- على الرغم من أنه في غير محله لأن باب المعاني وابتداعها مفتوح إلى ما لا نهاية- فاتجـــهوا إلى الصياغة لعلها تمدهم بالجديد ،مما أدى بهم إلى البديع و الإفراط فيه .

**نتائج هذه الخصومة :**كانت لهذه الخصومة نتائج على الشعر وأخرى على النقد :

**أ)الشعر** :لقد دفعت هذه الخصومة الشعر مراحل متقدمة نحو التجديد فكان تعصب أنصار القديم له ،سببا في ثورة المحدثين ،وسعيا منهم لمخالفة القديم ،والبحث عن مكامن الإبداع في الصياغة والمعاني فجاءوا بأساليب جديدة ومعان مبتدعة ،وصور غريبة ،وألفاظ دقيقة مستعذبة كانت محط أنظار النقاد ولقيت منهم الثناء والتقدير .

**ب)النقد**:فتحت الخصومة أبواب النقد على مصرعيها وخطت به إلى العلمية والمنهجية فبعد أن كــــان لا يقوم على أسس فنية واضحة صحيحة أضحى سليم المنهج واضح الأسس ،بعيدا عن التعصب ما أمكــــن ،كما ساعدت الخصومة على انتشار **الكتب النقدية** منها :

-الشعر والشعراء لابن قتيبة .

طبقات الشعراء لابن المعتز .

-البديع لابن المعــــــــتز

-أخبار أبي تمام للصولي .

الموشح للمرزبانــــــــــي .

-الرسالة الموضحة للحاتمي .

وغيرها من الكتب التي تعرفنا عليها سابقا في دروسنا ومحاضراتنا الأولى.

**الدرس التطبيقي الخاص بالمحاضرة .**

في هذا الدرس التطبيقي سنحاول التعرض لموقف بعض النقاد من الشعر المحدث وكيف نظروا إليه ؟

يتضح لنا بجلاء في المحاضرة السابقة موقف المتعصبين للقديم وكيف وقفوا معادين للشعر المحـــدث ناسبين له القبح والسوء ومما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سئل عن المولدين (وهم شعـــــــــراء محدثين) فقال **:"ماكان من حسن فقد سبقوا إليه ،وما كان من قبيح فمن عندهم** "

 ويتضح لنا من خلال قوله هذا أن إجلاله للقديم منعه من الاعتراف بالجديد مع أنه كان يقول :"**لقــــــــد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته ".**

وقد عرفنا سابقا موقفه من جرير والأخطل والفرزدق وكيف أنه ومن معه قد أخرجوهم من دائــــــــــرة الفحولة فقط لأنهم إسلاميون ،معتمدين في ذلك على مقياس الزمن .

وفي مقابل ذلك نجد نقادا آخرين وضعوا نصب أعينهم مقياسا فنيا للحكم على الشعراء وشعرهم وهــــــو الجودة والرداءة وليس الزمن .ومن هؤلاء نذكر:

**أ)ابن قتيبة :**الذي يعد من أوائل النقاد الذين أسهموا في تأصيل هذا الاتجاه النقدي حتى أصبح بفضلــــــه نظرية نقدية ،يقول في كتابه الشعرو الشعراء :"**ولانظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا إلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه ".**

**ب)ابن رشيق :**يقول هو الآخر :"**والمتأخر من الشعراء في الزمان لا يضره تأخره إذا أجاد كما لاينفع المتقدم تقدمه إذا قصر ،وإن كان له فضل السبق فعليه درك التقصير ،كما أن للمتأخر فضل الإجادة** أو **الزيادة ."**

ولم يكتف النقاد بذلك بل نظروا إلى الشعر القديم والجديد ووازنوا بينهما موضحين اشتراكهما في أمور كثيرة ومنها وجود الأغاليط والعيوب.

  **ج) الجرجاني** **:**الذي أدلى برأيه هو أيضا فقال **:"ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة لم تسلم من بيت أو أكثر لايمكن لعائب القدح فيه ،إما في لفظه أو نظمه أو ترتيبـــــــه وتقسيمه ،أومعناه أو إعرابه ؟ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقديم ،واعتقد الناس فيهم أنهم القـــــدوة والأعلام والجة لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة ومردودة منفية ،لكن هذا الظن الجمـــــــــيل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفى الظن عنهم ."**

كانت إذن تلك نظرة الناقد المنصف الذي أزاح غشاوة الظلم عن عينيه وطرح رداء التعصـــــــب وراح يفاضل بين الشعراء حسب جودة شعرهم مدركا أن العلوم لاتختص بزمن دون آخر ،كما يؤكد ذلك اـــبن قتيبة في قوله**:"ولم يقتصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ،ولا خص به قوما دون قوم ،بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ."**